# جزيئات الهيكل

توقف الصغار عن اللعب . راحوا يرقبون الاعمى بقامته الطويلة القوية وهو يقترب من باب المسجد . عصاه الصفراء الغليظة المحروقة الرأس تتلمس الارض امامه ورأسه العاري يرتفع في شموخ يشق الهواء كصدر سفينة مبحرة .

قطع الكسيح ، الضئيل الجسم ، الجالس على الارض عند باب المسجد ، حديثه الهامس المريب مع شحاذة ممتلئة جلست الى جانبه وبقي يترقب ، نظراته تتابع العصا وهي تقترب ، حتى اذا رآها توشك ان تصطدم بعظم ساقه الضامرة المطروحة على التراب امامه مد يده بسرعة وامسك العصا من اسفلها . وقف الاعمى . انت ؟ نعم . لنمض! الا تجلس ؟ لا . بعد قليل يفدون للصلاة . ليذهبوا الى جهنم ..ملت! خلال توتر العصا المشدودة بين قبضتيهما ادرك الكسيح ان الاعمى لن يجلس . قال دون ان يرفع رأسه : اتركها ! افلت الاعمى العصا . تطوحت قليلا في الهواء قبل ان يمسك بها الكسيح ويطرحها ارضا ثم يدفع بها ناحية المرآة . هنية ! احتفظي بها حتى نعود ! قالت بارتياح: انا باقية هنا حتى صلاة المغرب . الخنزيرة ! تريد من الله .. يخلو لها الجو . سمع الاعمى يسأل فوق رأسه : حاضر ؟ لحظة ! شحط على الارض عجيزته الدّاوية الملفوفة بقماش جلدي سميك مترب محكوك واستدار ليواجه جدار المسجد ساحبا معه ساقيه العاطلتين . احس بالجسد العملاق ينحني فوقه وباليدين القويتين تمسكان به من خصريه . طار في الهواء . أفرد ساقيه . استقرت عجيزته فوق عنق الاعمى . ترك رجليه تتهدلان على صدر حامله ولف يديه فوق الرأس العاري كطفل صغير يجلس على أكتاف أمه . هيا ! استدار الهيكل المركب وقد ازداد طولا . امش ! خفف ! انحرف يسارا ! يمينا ! استمر ..

مع كلماته السريعة المتبراء كانت يداه تحركان رأس الاعمى كما يحرك السائق مقود سيارته .

قال أحد الصبية :

ـ سوف يذهبان الى المزارع !

ـ من اين تعرف ؟

ـ أعرف .

ـ تعالوا نتبعهما !

ـ يا لله !

قال اصغر الصبية :

ـ انا اخاف .

ـ تعال !

جرّوه من يده .

ما هذا !؟ من يتبعنا ؟ لوى الكسيح رأسه دون ان يفلت يديه المتشبثتين بالرأس العاري . اطفال .. امش ! توقف الاعمى واستدار بجسده كله وبالحمل فوق كتفيه . واجه الصغار عملاقا نه وجهان واربع عيون اثنتان مطفأتان . تفرقوا بسرعة في الازقة المتفرعة ، رؤوسهم الصغيرة تظهر وتختفي لصق الجدران في زوايا المنعطفات . دعك منهم ! اشباح صغيرة لا شكل لها تثير اعصابه . قلت لك دعك منهم ! ضحكاتهم المكتومة تنفجر في اذنيه ثم تصمت بسرعة . لا تضع عقلك وعقلهم ! ماذا تريدون اولاد الزنى ! اذا امسكت بواحد منكم .. غضبك يسيلهم .. اسكت عنهم ينصرفون . لن ينصرفوا .. انا أعرفهم اولاد الـ .. الا توجد احجار قريبة ؟ لصوص ! حرا .. أتسمعهم ؟ دلني على حجرة ! تقدم خطوة .. خطوة اخرى .. بعض الاحجار عند قدمك اليمنى . أقعى الاعمى ، دفع الكسيح بجسده الى الخلف كراكب جمل يبرك ، تناول الاعمى حجرا صغيرا ثم نهض . دلني على واحد ! امامك.. اضرب قريبا من الارجل لا تخلق لنا مشكلة . انطلقت الحجارة تشق الهواء بقوة . آآآخ بوية بوية بوية رجلي انكسرت آخ بوية رجلي !! تستاهل .. تستاهل وأكثر ! قال الاعمى جذلا وهو يستدير ليواصل السير . أرأيت ؟ جعلته يعوي . انتبه ! انحرف يمينا ! اصبته في رجله وكأنني ارى ! كأنني ارى ! شعر بحوض الكسيح يرتجفوق كتفيه. انصت قليلا ثم سأل بارتياب . لماذا تضحك ؟

حجارتك التي رميتها اصطدمت بالجدار . لكنني سمعته يصرخ من الالم . يضحك عليك . ابن الزانية قلب الدنيا من الصياح ! خفف! خطوة الى اليسار ! والان استمر لصق الجدار . لن يفلت مني مرة اخرى . .لن يفلت .

أشرفنا على البساتين .. اين نذهب ؟ بستان عبدال . انت مجنون! لماذا ؟ تريد تورطنا مع هذا الكلب الشرس .. يده والمسحاة . انا الاعمى يجب ان اخاف . انت الاعمى لك قدمان تهرب بهما . نعم اهرب باتجاه صاحب البستان ! انتبه ! يسارا ! انت ترى الطريق . انا ارى انا ارى .. واذا فاجأنا احد افرد اجنحتي الكبيرة واطير .. فوق ذرى النخل .. والانهر والاشجار والتلال .. فوق المنازل .. والقباب والمنائر .. ألف في الفضاء .. وعندما اتعب .. وعندما تتعب تحط من جديد عند باب المسجد لتشحذ .. انا اعرفك مثل الدجاجة تموت وعيونها .. يحسدني لانني ارى ، يغبطني لانه اعمى . اطمئن .. ما دمنا انا وانت واحدا لن يتمكن منا احد . اقترب من الجدار على

يسارك ! هناك ثغرة على بعد خطوات . راحت يده العريضة تتحسس الجدار الطيني الخشن . قشور من التراب اليابس تتساقط تحت لمس اصابعه وتحك الجدار وهي تنزلق الى الارض بخفوت . رائحة الطين المنخور في الشمس تملأ خياشيمه . سقطت يده في فراغ . هذه هي الثغرة . عادت اليد تتحسس نهاية الجدار المتهدم . ادخل !

وراء الجدار عالم آخر . سكون لذيذ غريب رغم الاصوات الهامسة الموشوشة في الظلام حوله . اندفع الاعمى نشطا .

قال اصغر الصبية خائفا وهم يقتربون من الثغرة .
ـ انا ارجع البيت .
ـ أدخل .. لا تخف !
جرّوه معهم وهم يدخلون في حذر عبر الكسرة في الجدار .

انتبه ! جذع نخلة ! مد يده يتحسس الجذع المتين الخشن . لامس كتفه طرف سعفة متدلية ، أسرع يطبق اصابعه على الخوص البارد الطري . ظل ممسكا بطرف السعفة وهو يتقدم . تطاولت معه في مرونة بضع خطوات ثم بدأت تتمرد ، تنشد ، تتوتر . افلت رأسها من بين اصابعه ، راحت توش وهي تنسحب تشق الهواء خلفه . ماذا تفعل؟ جننت !؟ نعم نعم نعم جننت .. تريدني افترس الارض امام باب المسجد .. امد يدي نهم ! آه لو اضع رأسي عند جذع نخلة وانام على التراب في ظل سعفها الكث .. على التراب . يداه تسبقانه ، تتحسسان كل شيء في طريقه .. الاغصان المتتالية على الجانبين ، الكرب المتشقق ، نهايات السعف المتهدل من نخلات صغيرة . وكانت الشمس والظلال تتناوبان على وجهه .. حرارة لاهثة وفيء منعش . فردات التمر المتنفخة المتناثرة على الارض تنفعص تحت اقدامه المفلطحة ويظل عصيرها اللزج المداف بالتراب الحار يلتصق بأسفل قدميه وهو يتقدم . يسار ! خفف ! شوف لنا عذق برحي ! عذق زين ! اقتربا من نخلة ضخمة الجذع لا ترتفع كثيرا عن الارض . حاذر من الشوك ! انزلقت يده على الظهر الاملس لسعفة قريبة منه . لامست اصابعه الشوك المنتصب بقسوة . سحبها في حذر . تمتم في نشوة . سعف برحي .. قوي ! اقترب قليلا الى اليسار ! هات ! اخرج من بين ثيابه منجلا صغيرا ناوله الى الكسيح . اسند يده الى جذع النخلة ليمنع جسده من التأرجح مع حركة الجسد الصغير المتشنجة فوق كتفيه . انصت بارتياح الى حشرجة المنجل بين السعف فوق رأسه ، وهو يستنشق منتشيا الرائحة المسكرة التي كانت تلفه ، رائحة هي مزيج من روائح تفوح من تمر ناضج لفحته الشمس ،خلال لم ينضج بعد انضج بعضه، خشف ، سعف اخضر ، سعف يابس ، الياف ، قشور طلع ، اعشاش مهجورة ، ذروق عصافير وطيور جف على الخوص وعشق السعف والجذع ....

ظل المنجل يحشرج بهدوء فوق ظهر السعفة العريض الاملس المشدود . اخذت فردات التمر الناضج تتساقط من الشراميخ مرتطمة بالارض محدثة اصواتا ترابية مبتورة . بان البلل على جانبي النصل الداكن . على حوافي الجرح الاسود الصغير الذي احدثه المنجل تجمع زبد ابيض كالحليب . ارتفع بعد دقائق صوت تكسر داخلي مكتوم . ساعدني ! رفع الاعمى ذراعيه يستقبل عذق التمر الثقيل . انفصل العذق ونزل بقوة شادا معه ذراعي الاعمى الى الارض . صلب الاعمى ظهره ورفع العذق بقوة قبل ان يلامس الارض . انثال تمر كثير تحت قدميه . غرس اصابع يده اليمنى عبر اوتار الشراميخ وترك العذق ينهدل الى جانبه بينما نامت الحبال النباتية الصفراء في لحم اصابعه . اسرع ! يسارا ! استمر ! اسرع ! العذق ثقيل لكن .. من ؟ من هذا!؟ من يتبعنا !؟ وقع خطى ثقيلة عجلى وراءهما . تكلم ! لوى الكسيح رأسه .. شهق : رحنا ! اركض ! اندفع الاعمى والعذق يتأرجح ثقيلا مرتطما بساقه تاركا نثارا من التمر على الدرب وراءه . يمينا ! اركض! اترك العذق ! لا . انه يقترب .. تريده يقتلنا ! اترك العذق الله يلعنك! التراب الهش يتفتت تحت الاقدام الثقيلة والجسد اللاهث يندفع وراءهما كالمجنون مرتطما بالاغصان وسعف النخيل دون اكتراث . امامك قنطرة ! اترك العذق أقول لك ! يسارا ! اعتدل ! أعبر ! ارخى الاعمى اصابعه وترك عذق التمر ينهش على الارض وعبر القنطرة راكضا وكأنه يرى . ابتعد وقع الاقدام المطاردة .. خلصنا ! انتبه ! أمامك منحدر ! أما .. شعر الاعمى بقدمه تهوي في فراغ . انغرزت اظافر الكسيح في جبهته لحظة وسمعه يشهق خائفا هاها اه .. وصوته يتطوح . وفي الوقت الذي انكفأ فيه الاعمى متمددا على الارض بكل قامته أحس بفراغ في مكان ما وكأن عضوا من جسده قد بتر فجأة بلا ألم . مرت لحظة قبل ان يدرك الاعمى تماما أن الكسيح لم يعد في مكانه . اين هو !؟ اخذ يتلمس الارض حوله . سمعه يئن .. قلت لك .. منحدر .. حذرتك . لا بأس ، أقترب ! المهم خلصنا اين ولى الشيطان ؟ لم يسمع جوابا . تكسرت اغصان يابسة صغيرة على الارض ثم سمع نهاث شخص ثالث في الهواء القريب . وقعا في المصيدة اذن ؟ خنس في مكانه . عبدال الذي سلك دربا آخر ليقطع عليهما الطريق كان يلهث فوقهما متسلطا كالنسر رافعا مسحاته بين قبضتيه المرتجفتين ونصلها العريض المغفر بالطين والتراب مشرع فوق صدر الكسيح تماما .

ماذا يحدث في الظلمة ؟ لعله كان واهما . لعله لم يسمع نهاث شخص ثالث . لوى جسده يتحسس ما حوله في جذر مثل دودة عمياء، في حين تجمع الكسيح على نفسه متضائلا مبعدا صدره في فزع عن شفرة المسحاة . عيناه الخائفتان تحدقان في ضراعة في عيني صاحب البستان . لماذا لا يذهب الى الاعمى ؟ الاعمى هو السبب .. الاعمى هو السبب ! ارتفع صوته بالكلمات رغما عنه . ألقى صاحب البستان نظرة سريعة على الاعمى الذي شحب وجهه فجأة وكف عن تلمس الارض بحثا عن صاحبه وبقى جامدا في مكانه يترقب ، عيناه المطفأتان تحدقان في الظلام المليء بالخطر حوله . بقي وحيدا . بقي صاحب البستان يرتجف غضبا فوق جسد الكسيح تحت قدميه . لم يلتفت الى الاعمى . كان يريد عينين تريان عينيه المشتعلتين ، تريان عضلات وجهه المتقلصة ، قبضتيه المتشنجتين على خشبة المسحاة ، تريان النصل المشرع الموشك ان يأكل في اللحم . كان يريد طريدة تفهم امتداد غضبه الدموي ، تدرك سطوته المدمرة ، تخشاه وترتعد امامه . الكسيح ـ لا الاعمى ـ كان طريدته . عيناه المذعورتان المندحرتان مصب غضبه الجامح . كانتا مرتبطتين ـ الصياد والطريدة ـ عبر عيونهما ، بعلاقة غامضة . دفع صاحب البستان شفرة المسحاة قريباً من الصدر العاري . اوشكت ان تحفر في اللحم الاسمر المعروق والعظام البارزة . لا .. دخيلك .. لا .. الاعمى هو السبب .. قلت له نشحذ عند باب المسجد .. رفض .. هو .. هو .. هو ..

غطى أصغر الصبية عينيه وهو يتمدد على الارض لصق اصحابه يرتجف من الخوف . سوف يقتله سوف يقتله سوف يقتله . نزلت المسحاة بعنف في الجزء العاري من الصدر ، كسرت العظام الناحلة الى الداخل وتدفق الدم غزيرا .. نهر من الدم لطخ ثياب الكسيح والارض والاعمى واغرق دشداشة الصغير تحت فخذيه والدنيا كلها . صاح الصغير : دم ! دم ! دم ! ا شه شه شه ىلا ترفع صوتك ! دم ! نظروا اليه في دهشة . عن اي دم تتكلم !؟ دم الكسيح .. انا رأيته !

ا ش ش ش ن لا ترفعوا اصواتكم ! يقول رأى دما وهو مغمض العينين ! اسكتوا الله اكبر عليكم ! الا تسمعه ؟ قلت لكم اسكتوا !! رآنا .. رآنا.. رآنا صاحب البستان ! هيا نهرب ! سحبوا الصغير من يده وفروا خفافا .

تمزق الحبل الذي كان يربط صاحب البستان بطريدته . أثارته اصوات الصغار وايقظته من كابوس مريع . وجد شفرة المسحاة تكاد تأكل في لحم الصدر الاسمر العاري البارز العظام تحت قدميه . وقف مترددا لحظة ينظر الى طريدتيه العاجزتين ثم بصق على الكسيح في حنق ، رمى المسحاة بعيدا وانطلق في اثر الصغار . اولاد الكلب ! اذا امسكت واحدا منكم ! ويلكم اركضوا لا يلحقنا ! دشداشة الصغير المبللة تلتصق احيانا بساقيه وتعرقل هروبه لكنهم لم يتخلوا عنه . كانوا يحيطون به ، يمسكون يديه احيانا ، وهم يعدون كالغزلان المذعورة . بدأت كتل من التراب تتساقط وتتفتت في المواقع التي يتركونها وراءهم. وكان نثار الكتل المتطاير ينغز لحم اقدامهم العارية الهاربة . لم ينقطع تساقط الكتل الترابية حتى ابتعدوا عن جدار البستان .

دخلوا الزقاق يلهثون . انسل الصغير في صمت منصرفا الى البيت . تمدد الباقون على الارض متعبين . سأل واحد : ما الذي سيفعله بهما ؟ قال آخر : انا ضربتني حجرة .. انظروا ! تطلعت العيون لحظة الى خدش احمر صغير في اسفل القدم السمراء الممدودة امامهم . رأيتموه كيف عبر القنطرة وهو يركض ؟ مثل الابليس ! مثل انطنطل ! لماذا تركهما وجاء وراءنا !؟ انا قلت الكسيح راح .. انتهى . رأيتم كيف كانت المسحاة قريبة من صدره ؟ ماذا تظنون ؟ هل يضربهما الان ؟ سأل واحد وهو يجلس : اتدرون لماذا ابعدنا عن البستان ؟ لماذا لكي لا نراه وهو يقتلهما . ارعبتهم الفكرة ، نهضوا كلهم . يدفنهما ولا احد يدري. يدفنهما بين النخيل . ويزرع فوقهما اشجارا .. نعم اكيد يزرع فوقهما اشجارا . ماذا نفعل ؟ نرجع نرى . لا . انا اقول الاحسن نخبر .. انظروا ! استدارت الرؤوس حيث اشار الاصبع . تطلعت العيون مشدوهة . ما هذا !؟ ها هما يعودان ! تابعت نظراتهم الهيكل العملاق وهو يقترب . لحظوا ثمة خللا في العلاقة بين اعين العملاق ورجليه . كان الاعمى يتحسس الجدران وهو يمشي غير عابيء كثيرا بالارشادات السريعة التي كان الكسيح يلقيها الان بصوت مندحر قانط . ماذا حدث !؟ ماذا حدث في بستان النخيل !؟

اقترب الاعمى من باب المسجد . انتزع الكسيح من فوق كتفيه واجلسه على الارض في شيء من القسوة والاهمال ، ثم اشاح بوجهه يكلم الظلمة : هنية .. ناوليني عصاي ! مشواركم قصير . لم يرد عليها احد . قال الكسيح مصالحا دون ان يرفع عينيه عن الارض . الا تجلس؟ سيخرجون بعد قليل . بقي الاعمى صامتا . لامس رأس العصا المتأرجح ظهر كفه فأسرع يطبق عليها اصابعه ، ثم استدار مبتعدا عن المسجد وعصاه تشق له الطريق امامه . شيعه الصغار بنظرات حائرة حتى ضمه المنعطف . جلسوا على الارض مرة أخرى . مرت فترة طويلة قبل ان تستثيرهم الرغبة الى اللعب من جديد .

بغداد — مهدي عيسى الصقر


دار الآداب تقدم

# الموت حبًّا ...

رواية تأليف

## بيار دوشين

عشية الاضطرابات التي هزّت فرنسا في ايار ١٩٦٨ ، شعرت دانيال ، وهي امرأة شابة في الثلاثين من عمرها تمتهن التدريس في احدى الليسيات ، شعرت بانها تحب احد طلابها ، جيرار الذي كان قد اصبح في نظرها رجلا ، ولكنه قاصر في نظر القانون . وبادلها الطالب الحب .

وتفتح ربيع الحرية ذلك العام تحت الاعلام الحمراء والسوداء، واراد الاطفال ان يكونوا راشدين ، وعاد الراشدون اطفالا . وكان ذلك بالنسبة لدانيال وجيرار ، انبثاق حب مصمم على تحطيم جميع الحواجز .

ثم انتكست الحرية ، وبقي العاشقان وحدهما : ان الآخرين ، ومؤيدي النظام ومؤيدي الثورة ، الوطنيين والمكافحين ، يعودون الى الضوابط ويقومون بحساباتهم الصغيرة . اما جيرار ودانيال فيمثلان ، في نظر الجميع ، « الفضيحة » لانهما يرفضان ان يعودا الى الصف ، ولانهما يريدان ان يستمرا بان يكونا حرّين مالكين لقدرهما .

ويجري الانقضاض عليهما من كل مكان ، ويتحالف والد جيرار ، المناضل ، مع خادمي الدولة ، من قضاة وشرطة وعلماء نفس فمعيين ، ليعيدوا العاشقين الى « العقل » . ويظل دانيال وجيرار مصممين على المضيّ في معركتهما الى النهاية . ولكن هل تستطيع دانيال ، تلك الرفيقة النفس المثالية النزعة ، ان تحتمل اكتشاف الغباوة والشر البشريين بكل اتساعهما ؟ هل تحتمل هذا النظام الذي يحكمه التطهريون من كل اتجاه والذي يسحق حياتها، ويسحق الحياة كلها ؟

هذا ما تصوره هذه الرواية الرائعة التي اخرجها اندريه خياط فيلما يطوف الآن انحاء العالم ويشاهد اقبالا عظيما ينافس اقبال المشاهدين على فيلم « قصة حب » ...

صدر حديثا — الثمن ٣٠٠ ق . ل